مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 1684-1710

الإشاريات المقامية الشخصية وأبعادها التداولية في الخطاب النبوي

Personal Deixis and Its Pragmatic Dimensions in the Prophetic Speech

حميدات الجمعي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر،

hamidatdjemai1972@gmail

تاريخ إرسال المقال: 03-01-2023 تاريخ قبول المقال: 05-02-2023

الملخص:

تُعدُّ اللغة وسيلة لنقل الأفكار التي يترجمها الفرد برموز لغوية في مواقفه وسلوكه، وتحمل بين حروفها دلالات تبعا لمقاصد المتكلم، والتي تتطلب مهارة في استعمال التراكيب المنتظمة في مفردات تعبر عن المعنى المقصود من وراء الخطاب.

في وقت تعد الإشارات والرموز أداة من أدوات المعرفة لأنها ترتبط من المنظور التداولي بمقاصد المتكلم، والذي يختلف باختلاف السياق الذي يفرض أطرا معينة تُنجح العملية التواصلية مع الطرف الآخر حاضرا كان أم غائبا. لتحاول الدراسة التداولية تحديد أهمية الإشاريات في تحليل الظواهر التداولية للملفوظات القولية بالوقوف عند مقاصدها من خلال أحاديث مختارة من الخطاب النبوي بِعَدّه حاملا دلالات ومقاصد لا يمكن الوقوف عند كنهها وتحديد معانيها إلا من خلال تحديد السياق القولي للخطاب.

كلمات مفاتيح: التداولية، الخطاب النبوي، الإشاريات المقامية، السياق. المقاصد، الإشاريات الشخصية.

Abstract Language is a means of transmitting ideas that the individual translates with linguistic symbols in his attitudes and behavior, and it carries semantics between its letters according to the intentions of the speaker that requires a skill in the use of regular structures in vocabulary that expresses the intended meaning behind the speech. At a time when signs and symbols are a tool of knowledge because they are related from the pragmatic perspective to the intentions of the speaker which differs according to the context that imposes certain frameworks for the success of the communicative process with the other party, whether present or absent. The pragmatic study attempts to determine the importance of deixis in analyzing the pragmatic phenomena of the verbal utterances standing at its intentions through selected hadiths from the prophetic speech as it bears semantics and intentions in which it is not possible to stop at its essence and define its meanings except by defining the verbal context of the speech .

Key words : Pragmatics – Prophetic Speech – Deixis – Context – Intentions – Personal Deixis

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 01 ص.ص: 1684-1710

مقدمة:

لقد جاءت الدراسات اللسانية الحديثة وخاصة اللسانيات التداولية فأولت اهتماما كبيرا بعملية التخاطب، بعيدة كلّ البعد عن دراسة مكوناته من منظور القدامى، ليشهد النصف الثاني من القرن العشرين تكاملا بين الحقول المعرفية والذي أسهم في إحداث تطور ملحوظٍ في ميدان الفكر والمعرفة، لاسيما في ميدان الدّرس اللساني الحديث، والذي حَظي باهتمام اللغويين الغربيين الذين انتقلت آراؤهم وتوجهاتهم اللغوية الحديثة إلى المخزون المعرفي اللغوي العربي، نحو: "بنيوية دوسوسير"، و"توليدية تشو مسكي" ...والتداولية بجميع نظرياتها ومبادئها ومرتكزاتها، والتي عُدّت من أحدث التوجهات اللغوية القائمة في حقل البحث اللساني العربي والغربي، خاصة حين أجرت ذلك التعديل والتأويل الجديد للممارسات اللغوية انطلاقا من النظرة الاجتماعية والوصفية للغة، عن طريق تحليل المكونات اللغوية في ظل حالاتها الاستعمالية ومداولاتها الخطابية التواصلية.

إنّ الحاجة الماسة التي يفرضها الميدان اللغوي في استعمال اللغة جديرة باستثمار التحليلات التداولية وتطبيقاتها الواقعية في المعالجات اللغوية الحديثة بإعادة قراءتها في ضوء هذا التوجّه الحديث، والذي يفهم بكلّ أشكال التفاعل الاجتماعي والتفاعل الخطابي ودراسة المعطيات اللسانية والخطابية المتعلقة بكيفية الأداء اللغوي وعملية التواصل والتفاعل في جميع أبعادها النفسية والاجتماعية والإيديولوجية بدراسة اللغة في سياقها الخارجي والداخلي، لبيان المكوّنات والمقاصد التي يسعى المخاطب إلى استجلائها من وراء خطابه.

لقد أعادت التداولية الاعتبار للمتكلمين الذين يتفاعلون من خلال ما يفرضه عليهم موقف الخطاب من معطيات اجتماعية وثقافية ولغوية، فلم يعد المتكلم عنصرا مهمّشا في علاقة اللغة بالكلام، على اعتبار أنّ الخطاب البشري كونه الظاهرة الأشد تعقيدا لدى الإنسان لارتباطها بالعقل، إلاّ أنّه يتأسس مبدئيا في العناصر الآتية (أنا، الآن، هنا)، وهي العناصر الثلاثة التي شكلت هيكل النظريات التداولية كّنظرية الحديث"، "ونظرية الخطاب"، و" قوانين الخطاب وأحكام المحادثة، ونظرية أفعال الكلام..."[1]. كما أعادت التداولية الاعتبار للسياق وجعلته معطى أساسيا لفهم محتوى الخطاب ومقاصد المتكلم التي لا تتضح في اغلب الأحيان إلاّ بالعودة إلى السياق وتحديد آثاره.

إنّه من دواعي توسع الخطابات التداولية أنهّا لم تقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب، وأنّها لم تنظر إلى المفردات والعبارات في منآى عن سياقاتها، بل أخذت بعين الاعتبار كلّ الظروف المحيطة، كما اهتمت بحدود العملية التخاطبية التي عمادها المرسِل والمرسَل إليه، مستعينة بذلك بآليات وإجراءات تحليلية

[1] علي آيت أوشن، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2000، ص:59.

يستعان بها للوقوف على الإمكانات الخطابية، وأقصى ما يمكن أن يحمله الملفوظ من المعاني التي يمكن أن يحتويها في أثناء العملية التخاطبية التواصلية، مثل هذه العناصر تسمى العناصر الاشارية أو الإشاريات، ويُؤثر فلاسفة اللغة أن يستخدموها للدلالة عل مصطلح :indexicals expressions...[1].

علما أنّه من المعايير التي تتحكم في بلاغة الخطاب وصحته المعايير السياقية التي تتحكم فيها الإشاريات بأنواعها المختلفة، الشخصية والمكانية والزمانية من أجل تحقيق مقاصد الخطاب بصفة عامة، فلا يمكن أن تتم العملية التخاطبية بين المتكلم والمخاطب دون وجود هذه الإشاريات الثلاث المشيرات الشخصية (الأنا)، المشيرات المكانية(الهنا)، والمشيرات الزمانية (الآن)، لذلك كانت الإطلالة : (الإشاريات المقامية الشخصية وأبعادها التداولية في الخطاب النبوي)في محاولة للكشف عن أحد الأنماط الاشارية في الحديث النبوي الشريف، في الربط بين وحدات النص النبوي خاصة وأنها من أكثر الآليات التداولية حضورا في النصوص النبوية بأنواعها المختلفة، وسعيا لبيان دور الإشاريات الشخصية في الأحاديث النبوية المختارة مع إبراز دور هذه الإشاريات في بيان قيمة النصوص من الناحية الدلالية وفق النمط المختار(النمط الشخصي)، فما المقصود ب ."الإشاريات (المشيرات) في الاصطلاح التداولي ؟؟؟ وما هي أشهر أنواعها في عُرف التداوليين والعرب القدامى ؟؟؟ وكيف ساهمت هذه الإشاريات كآليات تداولية في تحقيق الترابط التخاطبي في الخطابات النبوية؟؟؟؟؟؟.

المبحث الأول: مصطلحات البحث:

ـ الإشاريات، المشيرات المقامية: تُعدّ المشيرات المقامية مبحثا نحويا وتداوليا بامتياز، إذ بها تتحدد العلاقة بين النظام اللغوي (التركيبي) والمنجز من الكلام، فهي أصناف من الوحدات اللسانية دلالتها مرهونة بمعطيات من خارج اللغة، فدراستها تعني كشف التفاعل بين البُنى اللغوية وعوامل السياق بغرض تفسير الألفاظ كما يفهمها السامع بمقاصد المتكلم، إذ هي الآلية التي يستخدمها منشئ القول وفق خاصية المتقبل(السامع)، وأين؟؟ ومتى؟؟؟... وضمن أيّة ظروف؟؟؟، مما يعني ـ بإيجاز ـ فهمها وبحثها يستلزم مفسرا مقاميا حاضرا في السياق التخاطبي (مقام التلفّظ)، فما حقيقة المشيرات المقامية في الدرس التداولي، وما هي أشهر أصنافها؟؟؟؟ وما دورها في الخطاب بنية ودلالة؟؟؟؟.

المطلب الأول: التعريف اللغوي للإشاريات: يشير المعنى اللغوي لكلمة إشاريات إلى الفعل الثلاثي والجذر اللغوي (ش، و، ر): شَوَرَ إليه بيده: أي أشار، وأشار عليه بأمر كذا: أمره به، وأشار الرجل يشير إشارة، إذا أومأ بيده، ويقال : شورت إليه بيدي وأشر ت إليه، أي لوحت إليه، ولوحت إليه وألحت أيضا، .. وأشار إليه

[1] أحمد محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار الفكر، د، ت، 1988، ص: 15.

باليد: أومأ، وأشار عليه بالرأي: وأشار يشير، إذا ما وجه الرأي..."[1]، ومنه نفهم أنّ الإشارات يقصد بها التلويح ولفت الانتباه...، ويقول (ابن منظور) كذلك: المشير عنده: بمعنى الإشارة، قائلا: ...إيماء بالكف والعين والحاجب...وباليد وبالرأس والسبابة..."[2].

وجاء في "المعجم الوسيط" أنّ: أشار إليه وفي يده أو نحوها: أومأ إليه، معبرا عن معنى من المعاني كالدعوة إلى الخروج أو الدخول...وأشار إليه بكذا: نصحه، أن ينفعه، مبينا ما فيه من صواب، وأشار فلان على العسل: أعانه على شَوْرِه: أي جَنْيِه...والإشارة تعيين الشيء باليد ونحوها، والإشارة: التلويح بشيء يفهم من المراد..."[3].

أماّ "لسانيات النص وتحليل الخطاب" فقد حصرت تعريف المشيرات المقامية من خلال معجمها " في المصطلحات الأساسية" أنّ: الإشارة: "هي ما يدلّ على أيّ شيء يتعين من جهة بموضوع ...ويشير من جهة أخرى بفكرة معينة في الذهن، ويوجد فيها القصد في التواصل، وهي حدثٌ أو أي شيء يشير إلى حدث أو شيئي آخر...[4].

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي:

تُعدّ الإشاريات من أهم الآليات اللغوية في التحليل التداولي، وتنسب "إلى حقل التداوليات "لأنها تهتمّ مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تُستخدم فيه... فهي عناصر لغوية يقتضي الإلمام بمعناها معرفة العناصر السياقية المحيطة بعملية التلفظ، لأنها لا ترتبط بمدلول ثابت، ولذلك تسمى "المبهمات" ويكمن إبهامها في كونها لا تدل على غائب عن الذاكرة، أو عن النظر الحسي، فالتلفظ بها يجب أن يكون في سياق يحضر فيه أطراف الخطاب حضورا عينيا أو حضورا ذهنيا من أجل إدراك مرجعيتها..."[5].

وفي الحقيقة أنّ مبحث "الإشاريات" تزامن ظهوره مع بزوغ التداولية بوصفها علما له قواعده، فكان لها قصب السبق في حصد اهتمام ورعاية اللغويين، إذ حينما عرف (شارل موريس) التداولية بكونها بحثا عن العلاقات القائمة بين العلامة ومؤولها... تجلّى لديه هذا المجال في ضمائر الكلام وظرف الزمان والمكان، مما يندرج تحت كنه الإشاريات. وتعريفها..."[6]..، فكانت الرسول الأول الذي يكشف عن كنه هذا المفهوم،

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1997 مادة: ش ور.

[2] المرجع نفسه، المادة نفسها.

[3] مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960، ج2، ص:499.

[4] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، دراسة معجمية، دار الكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1، 2009، ص:86.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص: 82.

[6] ختام جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص:76.

وقد عرّفها "مسرد التداولية" بكونها: "الصيغة اللغوية التي تتمّ بها تأشير اللغة.."[1]، ليصبغ هذا التعريف بصبغة تقنية على يد (جورج بول) حين قال: "...التأشير مصطلح تقنيّ يستعمل لوصف أحد أهمّ الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام، والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة، ويطلق على أيّ صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة، مصطلح التعبير الإشاري..."[2].

و"المشيرات المقامية" مركب لغوي ينشطر شقّين، وبمقتضى ما أريد لها عند الوضع تعني أنّ المسمى: "هو كلّ لفظ قائم بفعل الإشارة إلى المقام، والمراد بالمقام كلّ ما يقوم به اللّفظ مما ليس بلفظ في حال اللفظ، فهذا هو الملول عليه باسم الفاعل من فعل الإشارة (مشير) والمدلول عليه بنعته بالنسبة إلى المقام "مقاميٌّ".."[3].

ويقصد بالإشاريات:" أدوات الربط بين أجزاء الجملة، وبين مجموعة من الجمل، وهي علامات لغوية لا يتحدّد مرجعها إلاّ في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فعلماء التداولية يعدُّون أنّ النص يتألف من عدد من العناصر تقيم في ما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتّماسك بين تلك العناصر، وتُسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقها، لأنّ دراسة البُعد الإشاري للعلامة اللغوية يمثل جزءا من مقاصد الخطاب، ...فالإشارة في: (أنا، أنت، هنا) تُفهم من سياقها الخارجي، ولا يتحقّق إلا من خلال الاستعمال ..."[4]

وهو المعنى الذي تحدث عنه (الشهري بن ظافر) في "استراتيجياته "، والذي أقرّ من خلاله أنّ الإشاريات لا يظهر دورها في السياق التداولي، ولا يقف عند الظاهر، بل تتجاوزها إلى نمط آخر مستقر في بنية الخطاب العميقة عند التلّفظ، مما يعطيها دورا تداوليا في إستراتيجية الخطاب، لأنّ حدوث التلفظ من ذات المتكلم يكون بِسماتٍ معينة ويكون في جزأين (مكاني وزماني)، وبهذا فإنّ الخطاب بصفة عامة يحوي على الأقل ثلاث إشاريات يسميها الباحثون: (الأنا والهنا والآن" ....."[5]

وبهذا تكون الإشاريات تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الاشارية القريبة من المتكلّم مقابل التغييرات البعيدة عنه، ..."[6].

[1] الماشطة مجيد، مسرد التداولية، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2018، ص:50.

[2] بول جورج، التداولية، ترجمة العتابي قصي، دار الأمان الرباط، ط1، 2010، ص: 81.

[3] نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، منوبة، تونس، 2006، تق: محمد صلاح الدين شريف....

[4] جاك موشلير، آن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دعقوس، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة بيروت، بيروت، ط1 2003، ص: 127.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص: 27

[6] بول جورج، التداولية...، ص: 28.

كما يفهم أنّ المكونات الاشارية بأصنافها المتنوعة لا يستغنى عنها في التواصل اللساني، بل هي من أكثر العناصر والمكونات اللغوية دورانا وتردّدا في التلفظ اليومي والتعاملات اللغوية، ويؤكد ذلك اللغوي: (بارهليل)"والذي يذهب إلى أنّ أكثر من تسعين بالمائة (90%) من المتلفّظات التي ينطقها المتخاطبون في سياق التواصل اللغوي اليومي هي تلفّظات إشارية يحدّدها السياق التلفظي الذي وردت فيه ..."[1].

وانطلاقا من هذا التوجه تُعدّ الإشاريات (مكوّنا لسانيا) تتغيّر مساهمته الدلالية بتغيّر سياق التلفظ، قصد إنجاز وظيفة إحالية معينة، ذلك أنّ البنية السياقية لهذه العبارات تؤثر في إحالتها ..."[2]. لتتّضح معالم الإشاريات بين" **اللسانيين والتداوليين**" من خلال:

ـ "الإشاريات" هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم وتستعمل للإشارة من خلال التأشير المكاني (هنا وهناك)، أو الزمان من خلال التأشير الزماني (الآن وآنذاك)، وتعتمد جميع هذه التعابير ــ في تفسيرهاـ على مُتكلّمٍ ومُستمع يشتركان في السياق ذاته، وبشكل أساس ومتزايد في التفاعل المنطوق وجها لوجه....."[3].

ــ "الإشاريات" هي ما يمكّن مستعملي اللغة من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية، أي بواسطة ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في مدخرهم المعلوماتي ..."[4]، وهذه الإشاريات تحيل إلى موقع المحال المحال عليه بالنظر إلى مكان التخاطب أو المركز الإشاري الذي يتضمّن بدوره المخاطب، والمكان والزمان..."[5].

ــ "الإشاريات" ضمن الحقل التداولي عبارة عن روابط إحالية لا تتحدّد مواضعها إلاّ بوجود طرفي الخطاب (مرسل، مستقبل) ضمن سياق كلامي مُعين، فالسّياق له دورٌ بارزٌ في فهم هذه العناصر الاشارية، وتأويلها تأويلا مُناسبا للتعرّف على مقاصد المتكلم ....."[6].

ـ "منجز لغوي" خرج من دائرة النظام إلى دائرة الاستعمال، فيُوصف بالتداول لأنّها تأشر العناصر غير اللسانية التي تحيط بالخطاب والتي تشكّل نقطة الانطلاق، والمركز الأساس في (بناء الخطاب) فضلا على ذلك في (فهم الخطاب)من قبل المخاطَب، فالمتكلّم يسوق كلامه في ضوء السياق الثقافي، ويطمح في ذلك

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص :441، حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، منشورات عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط 1، 2011، ص:444

[2] يوسف السيساوي، الإشاريات مقاربة تداولية، ضمن كتاب: علم استعمال اللغة، ص: 53.

[3] جورج بول، التداولية، ص:27

[4] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الثقافة للنشر والتوزيع المغرب، 1958، ص: 24

[5] احمد محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:17

[6] ليندة قياسي، تداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي، مالك بن نبي، مجلة ابوليوس، العدد 9، 2018، ص:47

ربط المخاطب بذلك السياق من أجل تحقيق (مقاصد الخطاب)، لذلك أصبحت الإشاريات مكونا لسانيا تتغيّر مساهمته الدلالية بتغير المقام التخاطبي قصد انجاز وظيفة إحالية معينّة، ذلك أنّ النسبية السياقية لهذه العبارات تؤثر في إحالتها...[1]، فعبارة "منجز لغوي "خرج من دائرة النظام إلى دائرة الاستعمال التي استهل بها تعريفه تشير إلى عملية التواصل البديهي والتّصور الخيالي الذي يحدث لدى السامع أثناء تلقيه النص، وسعى إلى ربط ذلك مع السياق الداخلي للنص وخارجه.

ـ الإشاريات مفهوم لساني، فهو يعالج العلاقة بين المتلفّظ والمتلقي في خضم السياق الذي قيل فيه النص، ليجمع كلّ العناصر اللغوية التي تُحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة، أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ، والذي يرتبط به معناه ومن ذلك:(الآن، هنا، هناك، أنا، أنت، هذا، هذه،..). وهذه العناصر تلتقي في مفهوم " التعيين"، أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه..."[2].

لتبقى وظيفة الإشاريات العمل على تفسير الملفوظات وتحديد مجالها التبليغي في الخطاب عن طريق عناصر إشارية، تحتويها تلك الملفوظات داخل السياق المادي الذي قيلت فيه، والجدير بالذكر في هذا المقام أنّ السياق يلعب دورا مُهما في تحليل العناصر الاشارية الخاصة بكلّ ملفوظ، باعتبار أنّ هناك كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يستطيع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه..."[3].

ليكون اتفاق التداوليين على إيجاد مجموعة أنماط محددة للوحدات التأثيرية التي لا تتجاوز محور الذات والزمان والمكان إلى جانب بعض الإشاريات الخطابية والاجتماعية... مقرين أنّ عملية التخاطب لا تتمّ ولا تنجح ولا تؤول من غير حضور هذه الوحدات الثلاث التي تمثّل المثلث الخطابي الإشاري (الأنا والهنا والآن)، والتي يمثل كلّ منها صنفا من الإشاريات.

المبحث الثاني: أنواع الإشاريات:

لا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عن الإشاريات الظاهرة بل يتجاوزها إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشارات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في إستراتيجية الخطاب لأنّ التلفظ يحدث من ذات بِسمات معينة، وفي زمان ومكان معينين، وهما مكان التلفظ وزمانه، إذ يجمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي: "الأنا والهنا والآن..."[4].

[1] حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص: 441

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، الناشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط1، 1993، ص:116.

[3] أحمد محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 17.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص80.

المطلب الأول: الإشاريات الشخصية: وهي العناصر الاشارية الدالة على شخص ما، وتشمل الضمائر التي تحيلنا على شخص، وهي في اللسانيات التداولية تندرج ضمن تداولية الدرجة الأولى، عرفها محمود نخلة: "هي تلك الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل: (أنا) أو المتكلم ومعه غيره مثل: (نحن)، والضمائر الدالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا، مذكرا أو مؤنثا..."[1]، فالذات المتلفظة(المتكلم) تدلّ على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن متكلم واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا..."[2]، وتتنوع الضمائر في اللغة العربية حسب الحضور والغياب إلى فرعين هما:

ضمائر الحضور وضمائر الغيبة، أمّا الأولى فتشير بدورها إلى متكلم، وهو مركز المقام الإشاري وصاحب الخطاب باعتباره المتلفظ به، وإلى مخاطب يقابله في مقام التخاطب ويوجه إليه الخطاب، وكل مجموعة تتنوع حسب تعدد الجنس والعدد إلى عناصر عدة..."[3].

وقد ضم بعض الباحثين في هذا التصنيف أيضا أسماء الإشارة (ضمائر الإشارة، والأسماء الموصولة أو ضمائر الموصولة)، ومنهم (تمام حسان) الذي رأى أنّ الضمائر في العربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام "ضمائر الشخص، ضمائر الإشارة وضمائر الموصول، وتشترك هذه الضمائر الثلاثة في أنها تقوم بوظيفة الإشارة والمرجعية، إذ تفتقر إلى عنصر سابق يقوم بعملية الربط بين أجزاء النص....."[4]

كما يشير (أنت) إلى متلقي الخطاب، وبين (أنا وأنت) يتشكّل الخطاب وتتحقّق الفاعلية في اللغة واستعمالها، والتي تلعب دور تحويل اللغة إلى ممارسة ونشاط فردي من خلال الاستعمال، يقول (مانغونو): ".... عند استعمال (أنا وأنت) فكل مُتكلّم يرجع نظام اللغة لفائدته، فأنا وأنت ليسا علامات لغوية لنمط ما خاص من المبهمات(الضمائر).... إنّها قبل كلّ شيء عوامل تحويل اللغة إلى الخطاب.."[5]

وما من خطاب إلاّ تتوفر فيه مجموعة من الإشاريات أو العناصر الدالة التي تحيل إلى قصدية المتكلم، هذه الإشاريات يتم بواسطتها معرفة قصدية الخطاب التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود ذات المتكلمة وزمان التكلم ومكانه، حيث تؤدي الإشاريات الشخصية دور الربط في العمليات التواصلية،

[1] أحمد محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص:18.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:97.

[3] الأزهر الزناد نسيج النص ما يكون فيه الملفوظ نصا، ص:117.

[4] تمام حسان مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم، عالم الكتب القاهرة طبعة1، 2007 ص:220.

[5] Mangueno, linguistique pour le texte Littéraire, Nathan, paris, 2003, p.16 .

وبهذا يكون بمثابة اللواحق التي تشير إلى معانٍ في شخص المتكلم أو السامع أو في أحد عناصر التركيب والدلالة التي تشير إليها ضرورية الإلمام بالدلالة العامة للتركيب...."[1]

ومما سبق ذكره أنّ الإشاريات تشمل على الضمائر وأسماء الإشارة والموصولة، فالضمائر هي التي تميز بين أدوات الكلام، وتعمل على الربط بين أجزاء النص، فالحضور قد يكون حضور تكلم (أنا ونحن) وقد يكون حضور خطاب (أنت وفروعها، أو حضور إشارة (هذه.....)، والغيبة قد تكون شخصية بما في (هو وفروعه) كما قد تكون موصولية (الذي وفروعه)...."[2]

المطلب الثاني: الإشاريات الدالة على المتكلم في الخطاب النبوي:

1. **ضمائر الحضور**: يهتمّ المنهج التداولي بالبنية العميقة للخطاب، فالضمير يدخل ضمن هذا النسيج وما يحيل إليه، فقد حدد (بنفنيست) توصيفا بَسط فيه القرائن اللغوية التي تُحيل على ذاتية المتلفظ في ملفوظاته، وقد لخصها في (أنا، الأن، هنا) مبتدءا بـ"الضمير" بوصفه أبرز وحدة لغوية يحمل دلالات مرجعية تدلّ على المتكلم داخل مقام التلفظ، يقول:"... إنّ الضمائر هي نقاط الارتكاز الأولى لوضع الذاتية في اللغة، وتتبعها أنواع أخرى من الأسماء كأسماء الإشارة والاسم الموصول، تشاركها المنزلة ذاتها ..."[3]

وقد أسّس (بنفنيست) نظريته في الضمير على فكرة أنّ الضمائر خارج إطارها التلفّظي فارغة الدلالة فهي تُحيل على معنى مرجعي في ذاتها، بل إنّ مرجعيتها مرتبطة بالمقام الذي استعملت فيه، فخارج الخطاب الفعلي الضمير ليس إلاّ شكلا فارغا لا يربط بموضوع ولا بمفهوم..."[4]

ثم إن دراسة الضمائر في الخطاب النبوي تفرض علينا أن نتساءل:(من أين) ـ مصدره، (إلى أين) يتجه الخطاب النبوي ـ المخاطب، لأنّ المقاربة التداولية تحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة: "من يتكلم...؟"، إلى من يتكلم...؟

النموذج الأول: ما رواه أنس بن مالك قال: **جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، ولما أُخبروا... كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غُفِر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، قال أحدُهم: أمّا أنا فإني أُصلّي الليل أبداً، وقال آخر أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، وقال" أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟؟؟؟، أمَا والله إني**

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية بيت الحكمة للنشر والتوزيع العلمة الجزائر، طبعة1 2012 ص54

[2] تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، الناشر دار الثقافة الدار البيضاء المغرب، 1994 ص107.

[3] أيميل بنفنيست، الذاتية في اللغة ترجمة صابر حباشة ضمن مقال لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ، ص:137.

[4] ذهبية حاج حمو، التداولية وإستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع 2015، ص:155.

لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني...."[1]

ـ من حديث عائشة: صنع النبيّ ﷺ شيئا فرخّص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبيَّ فخطب، فحمد الله، ثم قال: "ما بالُ أقوام يتنزهون عن شيء أصنعه، فوالله إنّي أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية..."[2]

ـ من حديث عائشة، كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يُطيقون، قالوا: إناّ لسنا كهيئتك يارسول الله، أنّ الله قد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، فيغضبُ حتى يُعرفَ الغضبُ من وجهه، ثم يقول: "**إنّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا...**"[3]

استعمل النّبيّ ﷺ ضمائر المتكلم في معظم أحاديثه، عائدة على الذات المتكلمة، (الرسول ﷺ) وهي إحالة داخلية لمرجع واحد يُفهم من سياق الكلام، في"مقامة وعظية" تدلّ على المرسِل في بنية الخطاب العميقة، مما يجعل حضور ا(لأنا) يرد في كل" خطاباته ﷺ، فهو لا يُضمّنها خطابه شكلا، ففي كل لحظة لأنّه يُعوّل على وجودها بالقوة في المرسل إليه...

وهذا ما يساعد على استحضارها لتأويل الخطاب تأويلا مناسبا، ولعلّ في اختيار ضمير المتكلم ليس لانّ الرسول ﷺ في مقام التكلم فقط، ولكن في مقام ردّ التهمة وسوء الظنّ به، من كونه قليل العبادة ويترخّص فيما أحل الله له، كونه مغفور الذنب، فمجيء الضمير في هذا المقام يعطي قُوةً في إثبات الحقيقة والردّ على المخاطب، ودفع تهمته وسوء ظنه، وإشعاره بتمام الثقة، ومما هو عليه من منهج التعبّد لله تعالى، وبعث الطمأنينة وسلامته من النقص والخلل، وهذا هو (البعد التداولي) للمشير (أنا) في الخطاب.

ففي شأن بعض الصحابة الذين أرادوا أن يسلكوا مسلك التشدّد في التعبد فيميلوا عن النهج الإسلامي في التكامل والتوازن بين حاجات النفس البشرية، اختار الرسول ﷺ صيغة "(أتقاكم وأعلمكم) مع مشير تخاطبي، (أعلمهم بالله أشد له خشية) مشير غيبة، (أخشاكم لله وأتقاكم له) مشير خطاب، مع ما تحمله طبيعة التفضيل من تزكية للنفس، وما اختيار هذه البواعث إلاّ دليل على أنّ المقام يقتضيها لا تخاطبا ومباهاة، ولكنّه ردٌّ على سوء الفهم لحقيقة الذين أساءوا الظن برسول الله ﷺ يقول(ابن حجر):"لأخشاكم لله واتقاكم له" فيه إشارة إلى أنّ ما بنوا عليه أمرَهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، شرحه وضبطه مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة 1992، حديث رقم 4776، باب: الترغيب في النكاح، ج5، ص:1950.

[2] البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم5750، باب: من لم يواجه الناس بالعتاب، ج 5، ص:2263.

[3] البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 20، باب: إنا أعلمكم بالله، ج 1، ص:16.

غيره، فأعلمهم أنّه مع كونه لا يبالغ في التّشديد في العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يُشدّدون، وإنّما كان كذلك لأنّ المشدد لا يأمَنُ الملل بخلاف المقتصد، فإنّه أمكن لاستمراره....."[1]

ليكون البُعد التداولي حاضرا في اختيار الفعل الإنجازي: (أصوم، أصلّي، أفطر، أتزوّج) فعبّر عن الأفعال الكلامية بأفعال قابلة للتجدد غير مُتصّف بها النبي ﷺ على وجه الثبوت والدوام، بخلاف الخشية والتقوى، فأراد الرسول ﷺ أن يُبين لمخاطبه اتّصافه بهما على وجه الثبوت والدوام في كل أحواله، فعبّر عنهما بالصيغة الاسمية المؤكَدة بالقسم (أما والله) (إني لأخشاكم وأتقاكم)، إذ لم يحمله " "التفضيل" بالمغفرة على ترك الجدّ في العمل قياسا بالشكر.

ـ النموذج الثاني:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مثلي ومثلُكم كمثل رجلٍ أوقد النّار، وجعل الجنادبُ والفراشُ يَقَعن فيها، وهو يَذُبُّهُن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي...."[2]، فقد شبّه النبي ﷺ المخالفون له بالفراش والجنادب وتساقطهم في دار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا، مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم، والجامع بينهما اتّباع الهوى وضُعف التمييز، وحرصُ كلٍّ من الطائفتين على هلاك نفسه.

فالخلق لا يأتون ما يجرُّهم إلى النار على قصد الهلكة، وإنَّما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة، كما أنّ الفراش يقتحم النار، لا ليهلك فيها بل لما يُعجبه من الضياء...."[3]، فمثَّل ذلك كلّه تعبير رسول الله ﷺ بعدم إفلاحه في إبعاد الفئة المخاطَبة من الهلاك، عن طريق:

- رجل، نار، جنادب، فراش، يقعن، يحاول إبعادها.....)
- الرسول، هديه الناس، الوقوع في الشهوات، يحاول إبعادهم.....)

والنتيجة: كلُّها تتقلّب بسبب الانغماس في المحرّمات التي تقودها إلى النار.

وقد استعمل الرسول ﷺ المشير الشخصي (أنا) في بداية خطابه مستترا متمثلا في (ياء المتكلم) في :" مثلي" لينتهي بذكره صراحة في أواخر الحديث مشيرا شخصيا (أنا) ليُبيّن من خلاله غرضا تداوليا يكمُن في بيان عظيم المسؤولية، والسعي إلى تغيير سلوك الآخرين والتأثير في تصرفاتهم، وفي استعماله للمشير "أنت" (للمخاطب (مثلكم) دلالة مُنطوية وراء هذا الحديث، وهو المسكوت عنه "المترابط باستنتاج المتخاطبين" وهو

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري على شرح صحيح البخاري، تح محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة بيروت 2004، جزء 9، ص:105.
[2] ابن حجر العسقلاني فتح الباري، جزء6، ص: 520.
[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ما يسمى في الحجاج التداوليّ "فعل الإستنتاج"، وهو مرتبط بقانون "الإفادة"، إذ لا نتصور أنّ الرسول ﷺ أراد أن يُخبر هذه الفئة أنّ الجنادب والفراش تنجذب غريزيا إلى النار، وذلك لأنّ الوضعية التبليغية بين المتكلم والسامع تقتضي التلميح دون التصريح، وهي الدعوة إلى الهداية، وهو ما يحمله المشير المقامي (أنا) في مقام النبوة، وهي من الناحية التبليغية أسبق إلى الذهن من الخبر القائم على التمثيل، لأنّ الإخبارية هي "ثانوية" من حيث الوظيفة بالنسبة للعملية الحجاجية كما يقول التداوليون.

النموذج الثالث: في الحديث المروي الموجّه لجماعة الأنصار في غزوة من غزواته ﷺ تجلت مجموعة من الإشاريات أو العناصر الدّالة التي تحيل إلى قصدية المتكلّم، ومعرفة قصدية الخطاب مباشرة من المقام، والتي يفرضها زمان التكلّم ومكانه... فالمكان والزمان يشيران إلى حرب الرسولﷺ مع أعدائه، مزج فيها بين مشيرات مقامية شخصية تراوحت بين المتصلة والمنفصلة والمستترة، عالجها المختصون غالبا في نصوص بلاغية من خلال الحديث عن بنية الأسلوب داخل الخطاب، خاصة حين تنعدم المطابقة الضميرية بين المتكلم والغيبة (أسلوب الالتفات)... ذلك ما خاطب به الرسول ﷺ الأنصار لما وجدوا في أنفسهم على رسول الله، حين لم يُقسّم لهم الغنائم... فكان استعماله للمشير الشخصي (أنا) المعبر عنه ب -(ياء المتكلم) فيقول: "...إني أعطي رجالا حديثي عهد وأتألفهم (أنا)، ...ثم قال:".. يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألّفكم الله بي، "ثم ينتقل من صيغة التكلم إلى الغيبة: "...أما ترضون أن يذهب الناسُ بالدنيا وتذهبون أنتم برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم"[1].

فالمقامُ مقام تلطّف بالمخاطبين وتطييب لقلوبهم مع عتاب خفيف وتزهيد في الدنيا، التي من أجلها وجدوا على رسول الله ﷺ، وترغيب لهم بما هو خير منها، فاستعمل المخاطب مشيرا شخصيا ضمير المتكلم (بلغني، أني، سلكت، أعطي، بي، بي) في(تكملة الحديث) لتحقيق بُعدٍ تداوليٍّ وهو التواصل بينه وبين أنصاره، ثم يلتفت من مقام التّكلم إلى استعمال مشير المقام بصيغة "الغيبة" لبيان عظيم ما فازوا ورجعوا به : في مقابل ما حاز الناس من الدنيا، وفيه تظهر بلاغة رسول الله من جهة، وبيان وظيفة المشير المقامي من جهة أخرى، لأنّ التعبير (تذهبون بي تحوزونني) يجعل الضمير يتحول إلى الغائب "تحوزونه" ذلك أنّ دلالة المشير "الياء" في (تحوزونني) يتحقق مدلولها في حال الآخرة في حضرة الخالق، في حين ما أحرزه غيرُ الأنصار من متاع زائل يتحقّق في الحياة الدنيا.

[1] البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: 4075، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ج 4، ص:1574.

النموذج الرابع: عن حذيفة بن اليمان أنّ رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه قال: "باسمك أموتُ وأحْيا، ...الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النُّشور...."[1].

خطاب نبوي في صورة من صور خروج الكلام إلى مقتضى الحال، والأصل أن يكون إلى مقتضى الظاهر، وهي ظاهرة تتجسد من خلال الضمائر كعلاقة مميّزة لها، وفيها يكون الانتقال من ضمير المخاطب إلى ضمير المتكلم، إذ نجد في الحديث تجسيدا واضحا في استعمال المشير المقامي "كاف الخطاب"(باسمك...)، والذي يحمل بُعدا تداوليا بمعنى التعظيم والتقديس قُدرة وفعلا، ثم مال التعبير بالمشير المقام الدّال على المتكلمين (أنا، نحن)..." أماتنا، أحيانا" وهي مشيرات مقامية تعكس الأثر التداولي تنزيها وتعظيما، ومن خلال المشير المقامي (كاف الخطاب) في آخر الحديث (فوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك.....")[2]. فيه إظهار لكمال الخشوع والخضوع لله تعالى، والمعبّر عنه بالمشير المقامي (الكاف) في (بسمك، منك، إليك)، ولتكون علامات البعد التداولي الآخر من خلال تخصيص صفتين للمولى عز وجل المتفرّد بهما اعترافا وإقرارا وهما: "الموت والحياة" ذلك ما حمله المشير المقام (أنا، الدالة على المتكلمين) في: "أحيانا وأماتنا ...".

النموذج الخامس: حديث ما قاله رجل للبراء بن عازب: أفَرَرتُم عن رسول الله يوم حُنين؟؟؟، قال: لكنّ رسولَ الله لم يَفِرّ، إنّ هوازن كانوا قوما رُماة، وإنّا لمّا لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم، فأمّا رسول اللهﷺ فلم يَفِر... فلقد رأيتُهُ وإنّه لعلى بَغْلَتِه البيضاء وإنّ أبا سفيان آخذ بلجامها، والنبيّﷺ يقول:" أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب..."[3].

خطاب نبوي في مقام حرب وتهويل، وهو المحور الذي يدور في فلكه الإحالة الاشارية بالضمير "إنا"، إذ عمد الرسول ﷺ إلى استعمالها قصد استدراج المخاطب لإدراك القصد، وإنهاض هممهم وعزيمتهم، فلم يتحدث الخطاب عن نفس الرسول بضمير المتكلم ويشير إلى نُبُوته، وينتسب إلى جده تعظيما وتشريفا لا افتخارا ولا عصبية، ولكن وظيفة المشير الإحالي "أنا" في مقام "الحرب" وحين تولّى الناس إظهارا للشجاعة والقوة واستهانة بالعدوّ، وتذكيرا للناس بصدق نُبوّته ووعد ربّه له، وتقوية لقلوب صحابته وحثا لهم على الثبات، قال النووي :"أراد النبي ﷺ تذكيرهم بذلك وتنبيههم بأنّه ﷺ لابد من ظهورهم على الأعداء، وأنّ

[1] البخاري، صحيح البخاري حديث رقم 5966، باب ماذا يقول إذا، صبح، ج 5، ص:2330.
[2] المرجع نفسه الصفحة نفسها.
[3] البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم: 2709، باب من قاد دابة غيره في الحرب، ج3، ص:1050.

العاقبة له، لتقوى نفوسهم، وأعلمهم أيضا أنّه ملازم للحرب ثابت، ولم يُولِّ مع من تولى، ..."[1]، وفي الحديث يتجلى البُعد التداولي من وراء المشير الشخصي "أنا" من خلال موضعين للتعريف:

ــ تعريف النبي ﷺ بـ: الـ "يُراد به قصر النبي ﷺ عليه لرسالة النبوة بين القوم، وفي هذا تأكيد وتذكير للناس بنُبوتّه وصدقه في خبره، ووعد ربه حين تولّى الناس وانهزموا عنه.

ـ التعريف بإضافة "ابن" إلى عبد المطلب" لأنّه اشتهر في جاهليته بجدّه أكثر من أبيه، وقد كان مشتهرا عندهم" أنّ عبد المطلب بشّر بالنبي ﷺ بأنّه سيظهر، وسيكون شأنُه عظيما..."[2].

النموذج السادس: حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي بكر قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبيَّ الله لو أنَّ بعضهم طأطأ بصره رآنا، فقال له النبيﷺ: اسكت يا أبا بكر، اثنان، الله ثالثهما، وفي رواية: "وما ظنك باثنين الله ثالثهما..."[3]

نموذج من نماذج الإشاريات المقامية في صورة (أنا، نحن) ويسمى هذا العنصر الإشاري "بضمير الحضور" كونُه دالا على الحضور في وقت الكلام، ولأنّ صاحبه لابدّ أن يكون حاضرا وقت النطق به...."[4]، كما يُقرّ (بنفنيست) أنّه يوجد نوعان من نحن (أنا أنت، (أنا، هم)، في وقت أشار إليه (الشهري) بـ "نحن الاجتماعية أو الشاملة"، ويقصد به العنصر الإشاري الذي يجمع أطراف العمليات التواصلية، أي المتكلم والمتلقي اعتمادا على أساس المشاركة، وتحقيق التضامن والتعارف، ويسميها "ماولر": "نحن التعاونية"..." [5]

وإن كانت الرواية الأولى هي المحفوظة، فإنّ توظيف الرسول ﷺ لـ (اثنان) :فهي (خبر)لمبتدأ محذوف يقدره مشير شخصي يشمله ﷺ مع صاحبه، إذ التقدير تركيبيا: (نحن اثنان)، على حد تعبير"(ابن حجر العسقلاني): "إذ يشير المشير إلى الرسول ﷺ وصاحبه، حيث لم يكن معه أنصارٌ وأعوانٌ حين أخرجه الكفار من مكة، مُعبّرا بمشير مكانيّ آخر "الغار" للدلالة على مكان الاختباء، ولعلّ البعد التداولي من وراء الخطاب النبوي ينعكس في بناء الرسول ﷺ الخبر على التعظيم، لمّا رأى الوجل والإشفاق في وجه أبي بكر، فأراد له الاطمئنان والاستئناس، فجاء بـ:

- لفظ الجلالة لما فيه من الإشعار بالعظمة والإحاطة والقدرة (الله ثالثهما).

---

[1] الإمام النووي، شرح صحيح الإمام مسلم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، د.ت، ج2، ص:119.

[2] المرجع نفسه، الصفحة: 121

[3] البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 3453 باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ج 3، ص:1337.

[4] عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف القاهرة 2007 ص:197.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص:93.

- أَمْرُ الرّسول ﷺ أبا بكر بالسكوت لئلا يلتفت المشركون إليهم ....
- فعل انجازي (الأمر) في شكل قوّة إنجازية بغرض مستلزم مقاميا مردُّه إلى التلطف...
- نداء تمهيدي يا "أبا بكر "كمشير بغرض الاستئناس مع المخاطب حالة اشتداد الحزن والخوف، وهي كلّها أبعاد تداولية يشترك فيها المتكلم المخاطب مع شريكه.

2. المشير الشخصي اسم الإشارة: ومفهوم الإشارة مفهوم" لسانيّ" يجمع كلّ العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلّمة أو الزمن أو المكان، ... ومنها :(هناك وتلك وذلك وهنالك...) هذا يعني أنّ العنصر الإشاري يمثل معلما (index) لذاته، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره، كما تُمثّل العناصر الاشارية جملة الذوات التي تكوّن العناصر الأساسية في الخطاب، وتتّصل هذه الذوات مباشرة بالمقام من دون توسّط عناصر إحالة أخرى..."[1]

ــ عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه كان يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخلٍ، وكان أحبَّ أمواله إليه (بيرُحاءُ)، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس فلما نزلت الآية:" لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" قال أتى رسول الله ﷺ وقال له: إنَّ من أحبِّ أموالي لدي "بيرحاء"، وإنّها صدقة لله أرجو برَّها وذُخرها عند الله، فضَعْهَا يا رسول الله حيث أراك الله. فقال ﷺ: بخٍّ بخٍّ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح..."."[2]

في باب أهمية فضل الصدقة الجارية عند الله تعالى أورد رسول الله ﷺ هذا الحديث من خلال قصة بستان أبي طلحة، إذ يظهر للوهلة الأولى المشير المكاني (بيرحاء) والموحي بحبّ صاحبه له (من أحبّ أمواله إليه)، وجاء في شكل حوار دار بين الرسول ﷺ والصحابي الذي أقرض بستانه لربه، طمعا في جنّته رغم حبّه له، راجيا من صدقته البرَّ والذُخر عند الله، لذلك كان البعد التداولي بغرض" الاطمئنان" والذي يحيل إليه عامل "التكرار "(بخٍ، بخٍ) وتقرير حقيقة التجارة الرابحة مع الله من خلال المشير الاشاري: (ذلك مال رابح ... ذلك مال رابح).

ولعلّ هذا التكرار هو الذي جعل نفسية أبي طلحة تطمئن حين بشره الرسول ﷺ بالمشير المقام (ذلك)، والصفة "رابح" ممّا يعكس أثر التكرار في نفسية المخاطب والتأثير فيه، إضافة إلى كونه يحمل بُعدا تداوليا آخر وهو الإشارة إلى عظيم الأجر المحصَّل عليه عند الله، والذي يعكسه قول" أبي طلحة (قد سمعت ما

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:116.

[2] البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 1392 باب الزكاة على الاقارب، ج 2، ص:530-531.

قلت)، وقوله ﷺ: (وإني أرى أن تجعلها في الأقربين) كما جاء في تتمة الحديث وهو البعد التداولي المقصود من وراء بيان قيمة الصدقة....

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "ألا أدلّكم على ما يمحو به الله الخطايا، ويرفع به الدرجات، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطأ إلى المساجد، وانتظار الصلاة ...فذلكم الرباط، فذلكم الرباط..."[1].

صورة من صور الخطاب النبوي الذي تتجسد فيه ظاهرة التكرار كآلية حجاجية لغوية تقوية للفكر والهدف، لتبقى في ذهن المخاطب تتفاعل مع عقله ومشاعره، وقد وظف المخاطب المشير المقامي " ذلكم" في صورة التكرار، ليعمل على تحقيق البُعد التداولي من وراء:

ـ استعمال الأسلوب الاستفتاحي "ألا" في صورة استفهام كفعل انجازي حرفي، بقوة مستلزمة مقاميا والمتمثلة في التشويق لتحقيق الهدف المطلوب.

ـ حوار داخلي من خلال رسم محاوره القائمة بين الأطراف المشتركة بدلالة ما يحمله المشير الشخصي المستتر والموجه للخطاب العام:"(أخبركم...). كمشير مقامي اجتماعي.

ـ أسلوب الحصر النابع من فصاحة المخاطب (وضوء، كثرة الخطأ، ..صلاة") كلّهاّ "مقدمات" لتحقيق "نتيجة "الرفع من الدرجة والقيمة"، وهو إحدى الآليات المنطقية في عُرف الحجاجيين، ليؤدي المشير المقامي "ذلكم...ذلكم" مع وظيفة التكرار المقترن بعلامة الجمع "الميم "في اسم الإشارة التأكيد على أهمية هذه الأعمال، وبيان أثرها وفائدتها وفق أبعاد تداولية يلخّصها (أبو بكر العزاوي): "ليس هو ذلك التكرار المُوّلد للرّتابة والملل، والموَّلد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنّه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام، والذي يسمح بتوليد بِنيات لغوية جديدة، باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه..."[2]،

خاتمة:

إنّ لغة الخطاب النبوي باعتباره الأداة التبليغية لمجموع المقاصد التي جاء بها الدين الإسلامي تتميز من حيث طريقة عرضها بمخاطبة العقل والوجدان، لتحقيق أغراض تواصلية وأبعاد تداولية من خلال الوقوف على نماذج من الخطاب النبوي، وبيان وظيفة الإشاريات الشخصية فيه، والمحيلة على شخصية صاحب الرسالة ﷺ، فكانت مجموعة من النتائج:

[1] البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم :396، كتاب الطهارة، ج 1، ص:83.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص:48.

ـ اعتمد الرسول ﷺ على الإشاريات الشخصية التي كانت أقوى الروابط وأكثرها انتشارا في الخطاب النبوي، إذ ساهمت في تماسكها وتلاحمها في ربط النص بالسياقات الخارجية وأعانت المتلقي في فهم كنهه وربطه بمرجعياته.

ـ كثيرا ما أشارت الإحالات الشخصية في الإشاريات على شخصية الرسول ﷺ وأبعاد الخطاب التبليغية خاصة حين رُبطت هذه الإشاريات بالمقام الذي وردت فيه.

ـ تعلّقت الإشاريات الشخصية بالأبعاد التداولية التي كان الرسول ﷺ يتوخاها من وراء حديثه مع الصحابة، وقد تعدّدت أشكالها بتعدّد طبيعة الجهات المستقبلة للخطاب.

ـ عبّرت الإشاريات الشخصية عن عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب، والذي كان حضوره (الآخر)مشاركا ندّيا في الحوار، بقدر ما كان طرفا مستزيدا في الخطاب كما ظهر في الحوارات النبوية.

ـ تنوعت طبيعة الإشاريات الشخصية بين (الأنا) الضمير المنفصل، وياء المتكلم، وتاء المتكلم إلى كاف التخاطب وهاء الغيبة، وكلّها تعكس أقطاب العملية التواصلية في الخطاب النبوي.

ـ تنوعت مقاصد الرسول ﷺ تبعا لمقتضى السياقات التي وردت فيها، من وعظ وإرشاد، إلى تعنيف وعتاب خفيفين، إلى النصح والتوجيه، الى الترغيب والحث... وغيرها...

ـ لتبقى العناصر الاشارية مرهونة بفعل التخاطب أو التلفظ، ولا تمتلك محتوى محدَّدا إلاّ داخل هذا الوقوع الفعلي، وتشكل عناصر تحديدية لأبعاد لسانية متمثلة في (الشخصي، والزمان، والمكان) لانطلاق كلّ خطاب من هذا المثلث الخطابي التفاعلي، والتي تمتلك دلالتها الحقيقية بمقتضى السياق الكلامي خارجيا كان أو داخليا.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: النصوص القانونية

ثانيا: الكتب

أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، 1958.

أحمد محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار الفكر، د، ت، 1988.

الأزهر الزناد، نسيج النص، ما يكون فيه الملفوظ نصا، الناشر، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان 1993.

الإمام النووي، شرح صحيح الإمام مسلم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، د.ت.

أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، الدار البيضاء، 2006.

بول جورج، التداولية، ترجمة العتابي قصي، ط1، دار الأمان الرباط، 2010.

تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الناشر دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.

تمام حسان، مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم، طبعة1، عالم الكتب، القاهرة، 2007.

جاك موشلير، آن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دعقوس، المنظمة العربية للترجمة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2003.

حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ط 1، منشورات عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2011.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري على شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت، 2004.

ختام جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة، عمان، 2016.

خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2012.

ذهبية حاج حمو، التداولية وإستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع، 2015.

الأزهر الزناد، نسيج النص ما يكون فيه المرفوض نصا، ط1، المركز الثقافي العربي، 1993.

عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، 2007.

عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، 2004.

علي آيت أوشن، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

الماشطة مجيد، مسرد التداولية، ط1، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2018.

محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، شرحه وضبطه مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 1992.

مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1997، مادة: ش ور.

نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، منوبة، تونس، 2006، تق: محمد صلاح الدين شريف....

نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، دراسة معجمية، ط1، دار الكتاب العالمي، عمان الأردن، 2009.

يوسف السيساوي، الإشاريات مقاربة تداولية، ضمن كتاب: علم استعمال اللغة،

Mangueno, linguistique pour le texte Littéraire, Nathan, paris, 2003, p.16

ثالثا: الرسائل والمذكرات

رابعا: المقالات

أيميل بنفنيست، الذاتية في اللغة، ترجمة: صابر حباشة ضمن مقال لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ.

لينده قياسي، تداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي، مالك بن نبي، مجلة ابوليوس، العدد 9، 2018.